نسق الانحراف الفكري في عصر الإمام الباقر عليه السلام دراسة تداولية

المدرس المساعد
هند كامل خضير
جامعة ذي قار- كلية التربية للبنات

ملخص البحث:

لم يكن الإنحراف وليد عصر معين، أو ظاهرة سادت في مجتمع ما، بل هو موجود طالما هناك إنسان مكنون بغرائز تحمله عليه، وتدلّه عليه، وهذه الغرائز تطغى تارة وتضمحل أخرى وفقاً لوجود العقل السليم الذي وجد بوجود تلك الغرائز التي أودعت معاً في الإنسان من أزليّة وجوده، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٨]، وهذه إشارة إلى الوجودين المصارعين منذ الوجود وحتى الفناء، ولعلّ الأخطر فتكا في المجتمعات هو الإنحراف الفكري؛ لأنّ صاحبه يظلّ الحق لا لأنّه مظل أو يقصد الظلال، بل مظنّة منه بأنه يحسن ما يريد، يطلب الله فيصيب الشيطان، ويقصد الحق فيدرك الباطل، فالمتصديّ لعلاج هكذا أمراض يصعب جداً عليه إبرائها من سقمها، فموت الفكر ممات الإنسان قبل أجله، وهذا ما ابتلى به المجتمع الذي عاصره الإمام الباقر عليه السلام من إنحراف كبير على مستوى الفكر والمعرفة، انتشرت في عصره عليه السلام الملاحدة والزنادقة والمرجئة والمعطلة وغيرهم، فلم يتوان عنهم بل تصدىّ له بكل إصرار وحكمة، وجادلهم بأكمل دليل وقدم لهم أكبر برهان في تلك المحاججات فكان على قدر من الفن في أدائها وأمهر متداول في إقامتها، فحري بالباحث أنْ يسلط الضوء على تلك المجادلات لإبراز الجهد المعرفي لقيمتها الفكريّة، فكانت هذه النقطة هي مدار بحثي الذي أوسمّته بـ(بنسق الإنحراف الفكري في عصر الإمام الباقر عليه السلام - دراسة تداولية) لعليّ أنّ أوفق في بيان تلك الصفحات المشرقة من تلك الحقبة التي سادتها الانفراج السياسي وخيّم عليها الإنحراف الفكري بكلّ جوانبه وآلياته.

المقدمة:

حينما نتحدث عن الفكر، فأننا - قطعاً - سنتحدث عن طبيعة العلاقة بين حيوية الذات الواعية من جانب، وتلبية الحاجة الملحة للحياة المعيشة بكافة ارهاصاتها من جانب آخر؛

وتأسيساً على هذا تستمد الحياة الفكرية قيمة مقدسة بنسبة ما لإنسجامها والطبيعة البشرية وسبب خلقها، من هنا نلحظ أن الطروحات الفكرية غالباً ما ترتبط بالمظاهر التي لها مساس بالقضايا الدينية، ومن هنا تكون علاقة السلوك البشري المفعم بنشاط الفكر علاقة متكافئة لأنهما ينهلان من معين واحد وهو صلة العقل البشري بما حوله، وضرورة الارتقاء بالذات بما ينسجم والحقيقة البشرية التي فضلها الله على مخلوقاته؛بوصف أنّ الأئمة عليهم السلام امتداد لباب رحمة الله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولأن حديثهم وسلوكهم هو الحديث والسلوك الحق، وخطورة الطروحات الفكرية المضادة للمتبنيات الإسلامية كان سبب انتخابي لهذه الدراسة الموسومة (نسق الإنحراف الفكري في عصر الإمام الباقر عليه السلام - دراسة تداولية -)، كان موضوعي هذا منسجماً من النسق المرتبط بقوة الفكرة وتشعباته، ومن ثم وقفت على مفاصل الصراع الفكري وجزئياته، ولا أدعيّ أخذتها بأني برمتها بوصفها ميداناً واسعاً لكني انتخبت بعض عينات البنية الفكرية التي طرحت في زمان المام الباقر عليه السلام التي انبرى لها عليه السلام متخذاً من تعدد دليل الرد والإقناع صوراً متعددة كما بيّنت الدراسة.

حاولت في بحثي أن اعتمد منهجاً واعياً متكاملاً وفق طبيعة المسائل المطروحة على الإمام عليه السلام، وبهذا نجد الأُطر المطروحة هي الثيمة الميمنة على متن البحث، فقد يتطلّب المبنى (جدلي، أو فلسفي، أو تداولي، أو معرفي، وأخرى فعالية الخطاب الإقناعي...).

فيما يتعلّق بمشكلات البحث فلعلّ أهم مشكلة واجهتني هو توسع الموضوع وتعدد أطره، ودقتها، سيّما الجانب الفلسفي والعقدي، لكني حاولت جاهدةً أن أركز على أهمها وأعمقها، من هنا كانت عملية التكثيف والاختزال أحدى أهم العقبات التي واجهتني.

وأخيراً أسال الله تعالى أن تنال دراستي هذه رضى المختصين وأن تكون في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال وبنون إلا من أتى الله بقلب سليم... والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وآله الأطياب.

توطئة:ـ

من نافل القول: إنّ اهتمام الجانب الفلسفي والإبيستمولوجي / المعرفي في كل العالم بالإنسان لكونه لغزاً عجيباً، فضلاً عن ألغاز كل موجودات أخرى كالوجود، والكون، والطبيعة، وكان بحث التفكير هو السبيل في المحاولة لفهم الحقائق الكونية بدءاً من الماهية

وصولاً إلى الإنسان، ومما لا شك فيه إن فلسفة الوجود / البشري تصاحبها دوماً فلسفة في التفكير، إذ إنَّ الحياة الإنسانية ((حياة فكرية لا تتم له إلاَّ بالإدراك الذي نسميه فكراً. وكلّما كان الفكر أصح وأتم كانت الحياة أقوم، فالحياة القيّمة ترتبط بالفكر القيّم، وتبتني عليه، وبقدر حظها منه يكون حظها في الاستقامة))[١]، وتطوراً عبر العصور تحوّل التفكير من الهيولي/ المادي إلى الميتافيزيقي/ ما وراء الطبيعة ومن ثم يصل الرصد المنظم لعملية التفكير ليتجه نحو الذات الإنسانية بوصفهما فحوى مظهر النشاط الإنساني.

إنّ القصد الأول من قولنا الوضع الإبيستمولوجي لمفهوم الذات هو التحقّق من الأسس الفلسفية والعلمية والمنهجية للنظريات التي تعالج موضوع الذات، إذ ثمة نزوع فكري ومعرفي لدى الأمة في هذا الوقت، نحو معرفة الذات وتشخيص موقعها من الآخر / الشر؛ لينجو بها نحو نهضة شاملة، تستعيد بها كرامتها، فيرجع مفهوم الذات إلى مظاهر السلوك الدّالة عليه،ومن ثم فهو مجموعة من الشعور والعمليات التأملية التي يُستدل عنها بواسطة سلوك أو ظاهرة [٢].

بناءً على ذلك، فإذا الذّات تقتضي شعوراً يشكّل أو يجسّد كفاءة معرفية مسبقة تؤهلنا للولوج إلى عالم الذات ومساءلتها، وهذا يتفق مع وقفة الجرجاني للذات حيث ((يرجع بقدم السير والسلوك إلى ذلك الأصل الذي جاء منه، ويزيل أية فاصلة أو حجاب بينه وبين ذات الحق و يفنى في بساط القرب عن ذاته ويبقى به))[٣]، إذ يفترض خلق وضعية تبتني منطلقاتها على أفقين:

أولهما: عقيدة التوحيد؛ بوصفهما القاعدة الإسلامية لحركة النهوض في حياة الإنسان.

ثانيهما: الفطرة الإنسانية – السنّة الكونية الإلهية في الذات الإنسانية – بها يشقُّ الإنسان سبيله في التدرج والتكامل وصولاً للقاء الحقّ سبحانه[٤].

من هذا المنطلق سيحاول البحث أن يُقدّم تصوراً حول النسق للمستقبِل (الذات)، سيقف عنده كنشاط فكريّ، وكبناء علميّ، وثقافيّ، وروحيّ يشكّل محطات فكرية تتجاوز بها الذات العلائق النفسيّة وآفاتها، وعبور أهوائها، و تنافٍ قد يبلغ حد القطيعة.

حيث تشير الدلالة اللغويّة لمفهوم النسق كما ورد في معجمي(العين والوسيط)، إنّ النسق الثقافي[*] هو ((ما كان على نظام واحد عام في الأشياء))[٥]، ومن ثم فهو ((دالٌ

على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي بصورة عامة))[٦].

ومن الجدير بالذكر أن نستوقف الحديث عند مصطلح الإنحراف، والفكر، فالإطار اللغوي لمصطلح (الإنحراف) مأخوذ من "حرف" مصدر انحرف، فعند الخليل (ت:١٧٥هـ) المعنى العائد لحرف من تحرّف، وانحرفّ، واحرَوْرَف هو واحد، فهو الميل عن الأمر[٧]، منه ((الإنسان يكون على حرف من أمره كأنّه ينتظر ويتوقع فإنّ رأى من ناحية مايُحبّ وإلا مال إلى غيرهما))[٨]، ولهذا الأصل تصاريف عديدة رجع بها ابن فارس(ت:٣٩٥هـ) إلى ثلاثة أصول (الحاء، والراء، والفاء)، حدُّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء[٩]:

فحدّ الشيء، ومن هذا الأصل حرف السيف: أحدّه، وحرف الجبل: أي أعلاه أو جانبه، وتسمية الوجه حرفاً، وكذا الناقة الضامر[١٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[١١]، وفسّره أهل التفسير ((مِنْ حَرْفِ الشَّيْءِ وَهُوَ طَرَفُهُ نَحْوُ حرف الجبل والحائط القائم عَلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ، فَقِيلَ للشَّاكِّ فِي الدِّينِ: إِنَّهُ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، لِأَنَّهُ عَلَى طَرَفٍ وَجَانِبٍ مِنَ الدِّينِ، لَمْ يَدْخُلْ فيه على الثبات والتمكن، كَالْقَائِمِ عَلَى حَرْفِ الْجَبَلِ مُضْطَرِبٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ يَعْرِضُ أَنْ يَقَعَ فِي أَحَدِ جَانِبَيِ الطَّرَفِ لِضَعْفِ قِيَامِهِ))[١٢].

وأما العدول: فالعُدُول والانحراف عن الشي، يأتي بمعنى التغيير، فحرفته أنا عنه أيّ عدلت به عنه[١٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[١٤]، ومن التفسيرات الواردة فيه قول الفخر الرازي: ((التَّحْرِيفُ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ... وَالتَّحْرِيفُ هُوَ إِمَالَةُ الشَّيْءِ عَنْ حَقِّهِ))[١٥].

وهناك من يرى أن الانحراف هو ((الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان))[١٦].

في حين يأتي الأصل الثالث بـ: تقدير الشيء، ومنه (المِحْرَاف) وهي حديدة كان الطبيب يقدِّر بها مقدار الجراحة عند العلاج. وجعل بعضهم (الرجلَ الْمِحْرَافَ) من هذا الأصل، حيث إنه قُدِرَ عليه رزقه فأشبه ذلك تقدير الجراحة بالمحراف[١٧].

كما تضعنا مفردة الـ(حرف) من خلال مدلولها اللغوي أمام تشكيل مجازي اشتقاقي لمعانٍ منها: الناحية، الحرمان،، الجانب، الاكتساب، المجازاة والمكافأة، نماء المال، حبٌ

الرشاد - نوع من النبات -، الحَرْف: الناقة الصلبة - الحيوان-، القراءة، واللغة [١٨].

واخلص من استقراء النماذج التي تسوقها أو تحيل إليها المعاجم اللغوية إلى أن كلمة (حرف) ذات مدلول وصفي، كماهو الشأن في طرف السيف أو الجبل... وغيرهما، ولكنه قد يجنح إلى المدلول السلبي إذا ما اقترن به فكر أو سلوك.

وتعكس المدونات اللغوية لمفهوم (انحرف) مدلولها على المفهوم الاصطلاحي، حيث يُعرف بـ((الخروج عن الوسطية الشرعية، وعن العرف المعتبر)) [١٩].

وهنا تستوقفنا ملاحظة مهمة مفادها أن(النسق) أعمّ؛لأنّ الانحراف مظهر من مظاهر النسق العام، ومن ثم فهما خطاب مزدوج يسير في اتجاهين متضادين فالنسق معطى آيديولوجي، فرضيات ذهنية تعطي الأطر العام، ومسوّدة للسلوك العام، فهو معايير، قواعد، وقيم، ونظم... إلخ، في حين معطى الانحراف، انتفاء للذات، تغييبٌ للهوية من خلال خرق العرف المتداول للمنظومة العامة للقيم من خلال فرضيات مضادة لها.

نظرة تاريخية لمفهوم الانحراف:

قد ماجت الارض بأصناف شتى من الانحرافات الفكرية عبر التاريخ البشري، فالانحراف كظاهرة ليس حديثة العهد أو الولادة، وأنّما هي قديمة قدم الإنسانية تضرب جذورها الأولى مع بدء البشر، فمنذ الخليقة والبشر يعبث في الأرض فساداً وسفكاً للدماء، يسلبون ويقتلون بعضهم بعضاً وهذا ما أكّده خطاب الملائكة لله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢٠] في هذا الوقت خطَّ إبليس خط الانحراف الذي تنمو عليه بذور الفساد التي وضعها بعدما دعاها ولبت نداءه، وبدأت قافلة الخطط إلى ماهو أبعد من التشكيك، منه قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [٢١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [٢٢]. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ.

فإنّ هذه النصوص القرآنية تؤكد في مجملها ثقافة الإشهار بظاهرة الانحراف، نسق أزلي منذ خلق آدم عليه السلام.ويرى الشيرازي نكتة لطيفة مفادها إنَّ الوساوس الشيطانية وإنْ كانت لا

تخلوا من أثر في تظليل وانحراف الإنسان إلاّ أنّ القرار الفعلي للانصياع للوساوس أو رفضها يرجع بكامله إلى الإنسان(٢٣).

هذا وعلى المستوى الفعلي حافظ الانحراف في رمز من رموزه واحتوت خيامه على ثقافة الشذوذ وانجرت الآصرة الإنسانية أو الوحدة إلى احتقانات خصوميه في التضاد والصراع المستديم بين هذا البشر، لذلك فان صورة الاعتداء من قبل قابيل كان بمثابة العنوان العام لفك الانصهار من النحن إلى الأنا، فبقتل هابيل ستبدأ مرحلة جديدة في تاريخها، إنه الارتحال من أصالة النوع البشري إلى مرحلة أصالة الفرد البشري يسيطر عليها حب الملكية الانفرادية (صلة القاتل والمقتول)،وبهذا دخل التاريخ البشري مرحلة التمييز والطبقية، وعلى إثر هذا التميّز في الوحدة الآدمية / الإنسانية فلاشك إن الرؤية الدينية تتبدل أو تعدد إلى نظام متعدد الآلهة.

لعل ما نستشفه من مشهد إبليس وقافلته في الانحراف التي تمثلت ب (أنا خير منه) أول عامل من عوامل الانحراف ألا وهو الاستعلاء والتحقير.

ثم بعد ذلك تفرقت قبائل البشر وتعددت الألسن محتفظة بنسق القومية التي شيدها إبليس، ورافق هذا الاتساع موج من الفتن، ليواجهنا هذه المرة بحلّة جديدة ترأس شجرتها قوم ثمود بقولهم (ما أنت إلا بشر مثلنا) إلى أنْ قام كفار قوم ثمود بتسليمها إلى كفار قوم هود، وذلك المعكسر الانحرافي يعاود ثانية بعباءة الإباء بقولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾(٢٤) وشكّل هذه الانحراف السلفي - قاعدة اتباع الآباء - تشريعاً لعمل وارتكاب الفواحش.

ثم تسلّم راية الانحراف فيما بعد قوم صالح عليه السلام بعقر الناقة، حيث كانوا لا يجدون انفسهم إلا من خلال هذا المعسكر، فلقد كان الاستكبار عندهم، يعز عليهم أن يروا صالحاً وهو يحطم عقيدة وثقافة الشذوذ والانحراف، لذا فإنّ هذه الاقوام ومن جاء بعدها كان لها السبق في إضافة معنى آخر يستقبل بشرية الرسول بشرط، ولقد امتدت هذه الشروط وكان في امتدادها حلول العذاب والكوارث...

وُظّف الانحراف في كلّ عصر من عصور بعثة الرسل والانبياء بعد حلته بملابس جديدة فمع قوم لوط يواجهنا طرازٌ أخر حيث أُستشري الانحراف في الشهوات والشذوذ الجنسي،

حيث الخروج عن حكم الفطرة، وترك الدين الحنيف، وتحليل ما حرم الله ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[٢٥] فجملة: (ما سبقكم بها من أحد من العالمين (((مستأنفة استينافاً ابتدائياً، فإنّه بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وعبّر عنها بالفاحشة، وبّخهم بأنّهم أحدثوها، ولم تكن معروفة في البشر فقد سَنُّوا سنة سيّئة للفاحشين في ذلك))[٢٦].

ووصولاً لبني إسرائيل اتخذ الانحراف مسار المتاجرة بالدين، حيث تزود تجار الأديان في بني إسرائيل الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، ولحق بهم أخوانهم في عصر البعثة الخاتمة، فقاست الأرض من الفراعنة والقياصرة والأكاسرة... لذا فأنّ الاصل الاساسي الاجتماعي الذي يضمن النجاة للمجتمع من عامل الفساد هو زمام العلماء المسؤولين والملتزمين الذين يحاربون كلّ أشكال الفساد والانحراف فكرياً وثقافياً ودينياً[٢٧].

ما زالت شجرة الإنحراف تعيش أنساقها أحطَّ أدوارها حتى مع بزوغ نور الإسلام، ففي عصر الرسول صلى الله عليه وآله وبعد وفاته طفح عرق تمثّل بـ(انحراف في بلادة الفكر والوجدان) فكان على شقين، معسكرات الانحراف عند قريش وأهل الكتاب، فالمعكسر الأول (قريش) ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٢٨]، فلما جاءهم تباعدوا، ولم يكن أهل الكتاب بأحسن حال من كفار قريش فقد كانوا يستنصرون خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله فلما بعثه الله كفروا به وجحدوه، وقد واجه الرسول الأكرم المنافقين الذي كانوا يمثلون البذرة الأولى للانحراف، فقد طالب صلى الله عليه وآله معسكر الانحراف بالنظر بالكون والذي يدل على وحدانية الله تعالى[٢٩].

ويستدرك القول بأنّ المشكلة التي واجهت الرسول صلى الله عليه وآله كانت مشكلة عاشها الأنبياء الذين سبقوه، حيث استفحال الرواسب الجاهلية في بنية المجتمع آنذاك، الأمر الذي خلق بيئة ثقافية موبوءة بالإستكبار الفكري والاقتصادي والاجتماعي إذ كان الوجه الأبرز لنسق الحياة، كون الناس يخافون على مواقع استكبارهم من أيّة دعوة جديدة، حيث إنّ الشرك كان عنوان نظامهم السياسي والاجتماعي[٣٠].

إلا أنّ ما حلّ بعد انقطاع الوحي وفاة الرسول الأكرم، حيث لاح النفاق داخل البيت

الإسلامي فكان ماكان،((لقد تقاتلت القبائل والطوائف وقامت بتصفية حساباتها على حساب الإسلام، وأصبح كرسي الحكم غاية وهدف لغلمان قريش وسفهائها، بل أصبح فيما بعد كعجل بني إسرائيل))[٣١].

هذا فأنّ أول بذور التفرقة بين المسلمين لمعت يوم السقيفة، يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فكانت مسألة خلافة رسول الله أوّل مسألة عقائدية انحرافية، إذ تعد ((مرحلة السقيفة مرحلة سيادة الخط القبلي على واقع المسلمين، فقد أخذ هذا الخط امتداده وشرعيته من تلك المرحلة مستتراً بستار الشورى، وإنّ الراصد لما دار في السقيفة يتبين له بوضوح أن الأمر كان أبعد ما يكون عن الشورى، وإنّما هو في الحقيقة أشبه بالانقلاب على خط واضح الملامح أسسه الرسول "صلى الله عليه وسلم"))[٣٢]. فقد ذكر إذ ((ما سل سيف في الإسلام علة قاعدة دينية مثل ما سل في الإمامة))[٣٣].

ولهذا الانحراف بدأ في أيام أبي بكر واشتد في أيام عمر في أيام عثمان بصورة غير إسلامية، حيث كان يسير في خطٍ منحنٍ حتى وصل إلى الهاوية، إذ مثّل ذلك إنحرافاً سياسياً خطيراً جداً وإنْ كان لا يمس في الظاهر إلا ميداناً واحداً من الميادين التي يعتمد عليها الإسلام، بوصف أن سياق الحال للفهم عند الناس على أنها قضية تغير شخص مرشح من رسول الله، وأنّ الشخص البديل الذي يقوم مقامه،باعتبار حسبهم لا مشكل في ذلك إلا أنّ خطورة هذا الانحراف يوجز في نص النص التشريعي، هي أن شخصاً غير علي ابن أبي طالب عليه السلام يتولى الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويصبح سلطان الأم بيده.

وهذا الأمر متأت لأنساق الرواسب الجاهلية التي تغلغلت وانغمست في النفوس فهم ((يتصورون أنّ محمداً صلى الله عليه وآله شيخ القبيلة، وهم شيوخ هذه القبيلة، بعد ان مات شيخ القبيلة الأول يتولى شيوخ القبيلة الأخرون))[٣٤] تلك هي حقيقة الحراك النسقي/ القبلي الدائب في المنظوم الاجتماعية، من هنا فإنّ القبيلة تمثّل ((نسقاً فكريا يؤكد تصوراً ذهنياً لما ينبغي أن تكون عليه الحياة))[٣٥].

وبداية الإنحراف التي واجهت أمير المؤمنين (من ينازعنا سلطان محمد)[٣٦]، بوصف أن المتسلّم لزمام القيادة الفعلية بعد النبي صلى الله عليه وآله كان من المحتوم أنْ يجنح إلى الإنحراف؛ لأنّه كان يعيش تلك الرواسب الجاهلية، ومن ثّمَّ لم يكن بوسعه أنْ يمثّل الدرجة الكاملة للإنصهار

مع الرسالة المحمديّة، فالمؤامرة التي قام بيها جناح المسلمين تحت سقف السقيفة كبيرةُ، متغافلين أنّ هناك دوراً مفروضاً للأئمة عليهم السلام في نص الشريعة الإسلاميّة في عالم التشريع وهو ((دور صيانة تجربة الإسلام، تجربة المجتمع الإسلاميّ التي أنشأها النبي صلى الله عليه وآله، وكان المفروض أنّ هذه القيادة تسلسل في هؤلاء الأمة الأثنى عشر واحداً بعد الآخر))[٣٧].

دور الأئمة في مواجهة الإنحراف:

مقابل هذا المنطق الإنحرافي الذي خطّ أوله أصحاب قافلة السقيفة، وقف الأئمة على خطين[٣٨]:

الخط الأول: خط محاولة تسلّم التجربة، زمام الدولة، محو آثار الانحراف، إرجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي؛ لأجل ان تكتمل العناصر الثلاثة (الأمة، والمجتمع، والدولة).

الخط الثاني: الذي عمل عليه الأئمة عليهم السلام، هو خط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة وإعطائها من المقوّمات القدر الكافي؛ لكي تبقى وتقف على قدميها، وتعيش المحنة بعد سقوط التجربة، تتقدّم بروح مجاهدة وبإيمان ثابت.

فكان الدور هو تغذية الأمة روحياً وفكرياً واجتماعياً وسياسياً؛ لكي تستوعب الإسلام، من هنا نأتي لدور صاحب البحث وهو الإمام الباقر عليه السلام ودوره في تحديات أنساق الإنحراف في عصره.

الإمام الباقر عليه السلام والتحديات الثقافية:

مع كلّ إمام من الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم) نجد تبايناً في السلوك، وتناقضاً من الناحية الشخصية بين الأدوار التي مارسوها، فـ((الحسن هادن معاوية، في حين حارب الحسين يزيد حتى قُتل، حياة السجاد قائمة على الدعاء، بينما كانت حياة الباقر قائمة على الحديث والفقه وهكذا))[٣٩].

فالإقصاء الذي مُورس على آل البيت عليهم السلام عن موقع الريادة، و إمامة المسلمين وإرشادهم من العوامل التي أدّت إلى تجلي روح الإنحراف ليس على مجالات الحياة عامة فحسب، بل على مستوى الشخصية المسلمة من حيث الفكر، والسلوك، والعاطفة وبهذا عمّ إنحراف الأمة والدولة معاً، وكان للأفكار والعقائد النصيب الأكبر من الانحرافات التي

غلبت على الأمة[٤٠].

فقد أطلّ الإمام الباقر عليه السلام على عالم مليء بالفتن والاضطرابات والأحداث، حيث الأمة الإسلامية أنذاك قد فقدت جميع المقومات[٤١]، فكان الاستفحال الإنحرافي على الأصعدة (السياسية، والأخلاقية، الفكرية) من قبل الراعية الأموية الحاكمة للدولة، وما رافقها من ارتباك المفهوم الإسلامي للرسالة المحمدية حيث لم تجلِ للفرد المسلم بالحقيقة المرجوه؛ بسبب استشراء التيارات والفرق والمذاهب بفكرها الهادم في تشوية المفهوم الإسلامي، حيث لاقت ذلك النشوء المذهبي الحضن الراعي له، والترحيب على تجشيعه، لاسيما الانحرافات الفكرية والعقائد كان لها النصيب الأوفر من الظهور والانتشار، وكذلك التواطؤ المتخاذل المستديم لهذا الإنحراف من قبل النظام الحاكم،لأنّ الانحراف يخدم صالح الحكم الأموي آنذاك[٤٢]، لاسيما أن الإمام الباقر قد عاصر جملة من طغاة البلاط الأموي (معاوية، ويزيد بن معاوية في عهد أبيه و جدّه الحسين عليه السلام) وسبعة مع والده وهم:

١- مروان بن الحكم[٤٣] شذرمة ولد الحكم، وصورة للإنحراف والتردي الخُلُقي والأخلاقي في عصره، وما آلت إليه الأمة الإسلامية في زمنه.

٢- عبد الملك بن مروان ويمثّل أسلافه في الامتداد المتناغم للإنحراف،

٣- الوليد بن عبد الملك.

٤- سليمان بن عبد الملك.

٥- عمر بن عبد العزيز.

٦- يزيد بن عبد الملك.

٧- هشام بن عبد الملك والذي تعرّض الإمام في زمنه لأشدّ المحن والويلات[٤٤].

وفضلاً عن هؤلاء الذين كانوا يموّلون التخبط الإنحرافي على مختلف أصعدته، الذين يُعدون الوجه الأبرز للإنحراف الداخلي في التحديّ الذي تصدّى له الإمام الباقر عليه السلام، كان هناك صرح من إشراك الأفكار والعقائد المنحرفة على يد ظهور العديد من الفرق والزمر التي روجت جهلاً وطمعاً وتآمراً على المنظومة الإسلامية وتقبّلتها الأوساط الإسلامية فمنها

(الإرجاء، والجبر، والتفويض، والتجسيم،والكيسانية، وتشبيه الله بخلقه، وتيارات الغلو، وكثر الحديث عن ماهيه الله تعالى)[٤٥].

ولعلّ من جملة الأسباب التي دعت لإنتشار هذه التيارات التي جرفت المفهوم الإسلامي عن مساره الصحيح مشكلة أساسية تضرب جذورها إلى بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهي (منع تدوين الحديث ونقله والتحدث به)[٤٦]، فقد ورد عن الخليفة الأول والثاني ((أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه)) [٤٧]، وقد استمر ذلك الحظر وبقيت رواسبه جارية إلى أعوام طويلة، ولم يكن هذا على وجه الشرعية فحسب بل كان جاري التنفيذ وقد استهدى بتعاليمهم الكثير، حيث إنّ معاوية كان يقول: ((عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٤٨].

ولعلّ الملاحظة الأساسية من حظر تدوين الحديث ونقله إنه منع يتسم بالقبلية، أي يموقع الحديث النبوي ضمن أطار فكري معين، حيث جلّ الأحاديث تشيد بالبيت العلوي وأهله، وهم الخط الذي رسمته السماء لتحصين الأمة ضد الإنهيار، ومنع الحديث يعني إلغاء دور أهل البيت عليهم السلام، وكان منطقهم حسبنا كتاب الله، ذلك المنطق الموارب للتشريع الالهي الذي يقول ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤٩]، يقول محمد عبده: ((كان الصحابة إذا رأوا المصلحة في شيء يحكمون به وإن خالف السنة المتبعة))[٥٠] وينساق المنع للحديث مع التجافي لأهل البيت عليهم السلام والابتعاد عنهم في التشتت الفكري، أما التحدي الخارجي تمثّل بالتيارات الهندية والنصارى.

من هنا كانت الحياة الثقافية العامة في عصر الإمام صلوات الله عليه ضحلة للغاية، تفتقد لأهم المقومات والمقاييس الأخلاقية والمثل التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، فقد كانت الجاهلية الأولى تسيطر على الوعي المجتمعي للفرد حيث نجد بعضهم يفخر على البعض بالآباء والأنساب.

دور الإمام الباقر عليه السلام المشرّف:

ستناول هذا الجانب لكونه الجانب الأبرز في حياة الإمام الباقرعليه السلام، وما لهذا الجانب من أهمية قصوى في حياة المذاهب والتيارات الدينيّة.

إنّ قوة كلّ شيء تنتهي بما يناسب ذلك الشيء، فقوة الجيش تتأتى في تخطيطه العسكري وكثره سلاحه لا تمثّله قواه الدينيّة أو الثقافية أو السياسية، وكذلك لحال لقوة الدينية، فعند التأمل في التاريخ الإنساني نرى أن الإنسان كائن متدين بطبعه ولوجودنا أيضاً إن الدين من أهم الظواهر المميِّزة للجماعات البشرية منذ بدء تكوّنها(٥١)، وحتماً كل محاولة لتفهّم الدّين تقتضي التسليم بأن في قلب الإنسان، وروحه وكيانه، نزعة روحية، ومطلباً يتعدى حاجات كيانه الجسماني ومطالبه (٥٢).

ففي الأديان والمذاهب لا يتأتى أو ينتصر دين على دين ويعمّ على الناس بقوة السلاح أو كثرته، حيث المنطق الإسلامي والقاعدة في الدين عدم الإكره: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)(٥٣) وقوة المذهب أو الدين أنْ يكون فيه رشدُ متبيّن فيه علم يجيب على الأسئلة الحاضرة، ولهذا وجدنا أن بعض المذاهب قد صمت وبقيت إلى الأن بالرغم من الحروب الإقصائية التي مُورست ضدّها والسياسية منها نظراً للعامل الفعّال في حياتها، حيث بقائها لم يرتبط بالسلاح ولا بالمعارك بل ارتبط بالتفوّق العلمي والإجابة المطروحة ومنهاجها الرصين؛ ولهذا وجدنا سرَّ تفوّقَ منهج أئمة أهل البيتعليهم السلام على مخالفيهم علماً أنّهم لم يكونوا الفئة الغالبة المسيطرة على الحكومات ولم تكن بأيديهم الأسلحة بل كانوا محلاً لهجوم غيرهم.

وكان الإمام الباقر عليه السلام في الطليعة من أئمة الهدى ممن أثروا عنه العلم الكثير، وتصدّى للإجابة عن الكثير من الأسئلة المطروحة،فقد عرض لأدق المسائل الكلامية التي لم يطرقها أحد من متكلمي المسلمين وفلاسفتهم سوى جدّه أمير المؤمنين عليه السلام (٥٤)، فضلاً عن ذلك فإنّ فقه أهل البيت عليهم السلام قد أخذ معظمه من الأمامين الباقر وولده الصادق عليهما السلام(٥٥).

فكان دوره عليه السلام متمثّلاً في ثلاثة محاور:

الأول: طرح البديل: طرح الفكر الصحيح، حيث فسح المجال للحوار مع مختلف الأديان والتقوّق عليها، وأيضاً ما أُثر عنه من العلوم، حيث يُعدُّ المؤسس للثورة العلمية

الشيعية الكبرى التي بلغت ذروتها في زمن سادس أئمة الشيعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقد وردت شهرته العلمية والدينية بدءً من اسمه فقد ذكر ابن حجر فيأنّه((سمي بذلك من بقر الأرض - أي شقّها وأثار مُخبئاتها، ومكامنها - فكذلك هو أظهر من مُخبئات كنوز المعارف،وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسد الطّويّة السّريرة، ومن ثم قيل فيه: هو باقرُ العلم، وجامعُهُ، وشاهرُ علمه، ورافعُهُ، وصفاءُ قلبهُ، وزكاءُ عِلْمِه وطهرتُ نفسُهُ، وشرفَ خُلُقُهُ،عُمّرتْ أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين))[٥٦].

الثاني: اتخاذ طريق الحوار والمناظرة.

الثالث: إعداد وتربية مجموعة من النخبة من الأفراد الفقهاء والتلاميذ وتنميتهم الذين يمكنهم أن يواجهوا هذا التحدّي، ومن هؤلاء (محمد بن مسلم، جابر بن يزيد الجحفي، وأبان بن تغلب، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية...)[٥٧].

المحور الحجاجي في مناظرات الإمام الباقر:

كثيرة هي المناظرات التي احتج بها الإمام الباقرعليه السلام والتي جرت بين العلماء والمفكرين بل حتى مع الزنادقة والمنحرفين وفي شتى الموضوعات المختلفة، وكان منها:

مناظراته عليه السلام (مع أسقف النصارى، ومع الحسن البصري، ومع قتادة بن دعامة، ومع هشام بن عبد الملك، ومع محمد بن المنكدر، ومع نافع بن الأزرق، ومع عبد الله معمر الليثي) وسيحاول البحث أن يقف على عينات مختارة من تلك المناظرات وهي (مناظراته مع عبد الله بن نافع بن الأزرق[٥٨] زعيم فرقة الخوارج، ومع القس النصراني، ومع الممثل للمذهب الرسمي للدولة هشام بن عبد الملك)

ولما كان مرام البحث الدراسة التداولية نطلق من فرضية صاغتها لنا أرباب التراث القديم، فالجاحظ بتقسيمه البيان إلى ثلاث وظائف: الوظيفة الإخبارية، والوظيفة التأثيرية، الوظيفة الحجاجية، وإذا استجلينا هذه الوظائف وجدناها تشكّل جوهر النظرية التداولية بوصفهما مقاربة تهتم بالمنحى التواصلي والإقناعي، والتأثيري من حيث إيصال المعنى وتقديم الفائدة[٥٩]، من هنا فالحجاج يُعدُّ من أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، بوصفه

يرتكز على مهام الطريقة والأسلوب اللذين يتبنّاهما المتكلم للتغيير في أيديولوجية معتقدات المتلقي وإقناعه في الموضوع المراد إيصاله إليه من العبارات والحجج، والمناظرة جديرة بهذا الاعتبار كونها من أهم أشكال بنيات الخطاب التي يتمظهر من خلالها هذا البناء،حيث تختزل في دينامية المظهر التخاطب الإنساني ثلاث وظائف هي التبليغ، والتدليل، والتوجيه، واتخذت تلك الوظائف أجلى مظهرها في الصيغة الإسلامية العربية لهذا التخاطب التي عُرفت بأسم"المناظرة "[٦٠]، ومن ثم فالمناظرة فعل حجاجي تكلّمي مدعوم بالدليل والبرهان[٦١]، يدخل في نظرية التداولية التي تقوم بدورها على الجدل المبني على علاقة تواصلية بين المتكلم والمستمع.

فعالية الخطاب التداولي في مناظرات الإمام الباقر عليه السلام

يمكننا القول، بداءة، إنّ مناظرات الإمام عليه السلام واحتجاجاته تجسّد موقفاً حجاجياً، بل تأسست عليه من بدايتها إلى نهايتها، حيث يجلي ظهوره اعتباراً مع قول عبد الله بن نافع ((لو أني علمت بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه...)) [٦٢] حتى نهاية قول الإمام له ((فقم مخصوماً فقام وهو يقول حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الأسود...))[٦٣] إنّ الحوار القائم بين الإمام عليه السلام وعبد الله بن نافع صراع فكري بالدرجة الأولى، حيث ينتميان إلى عصر مشحون بالأفكار المنحرفة بل أزدهرت فيه الحركات الفكرية، وكان اختيار المناظرة كمنهج للتحاور والخصام بارز منذ بداية الحديث،وقول نافع مولى ابن عمر بن الخطاب(*) في بدء المناظرة: ((يا محمد ابن علي... قد جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن وصي...)) إلى نهاية قول نافع:((صدقت يا ابن رسول الله يا أبا جعفر والله أنتم أوصياء الله... وأنتم أحق بالأمر من غيركم))[٦٤]، وقول الأبرش الكلبي(*) لهشام بن عبد الملك من هذا الذي احتوشه أهل العراق يسألونه؟ قال هذا نبي أهل الكوفة وهو يزعم أنّه ابن رسول الله وباقر العلم ومفسر القرآن فاساله مسالة لا يعرفها... حتى قيامه مخصوما وهو يقول: أنت ابن بنت رسول الله حقا ثم صار إلى هشام فقال دعونا منكم يا بني أمية فان هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض فهذا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله[٦٥]، وبناءً على ذلك

- والحال هذه - يكشف موتيف البنية الحجاجية تمظهر بفعلها معالم الفعالية التداولية الجدلية للحجاج، ويكمن تفصيل ذلك عبر محورين:

الفعالية التداولية للحجاج:

إن الموضوع الذي تدور حوله مناظرات الإمام الباقر عليه السلام معروف سلفاً بالاتفاق بين الأطراف المتخاصمة في حجاجيتها، وهو مناقضة أحدهما الأخر في قوله - وهذا ما تستحضره المناظرة كمنهج - والخصومة الدائرة في هذه المناظرات حاملة خطاباً ذا فعالية تداولية؛ لأنّ لها طابعاً فكرياً يشكّل عتبةً نصيةً ودالّةً تأخذ بعين الإعتبار مقتضيات مقام الحال من معارف مشتركة وتوجهات في إنشاء معارف عملية [٦٦]، فالإمام الباقر عليه السلام في مناضرته مع عبد الله بن نافع بعث إلى ((جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم ثم خرج إلى الناس في ثوبين ممغرين وأقبل على الناس كأنه فلقة قمر فقال:الحمد لله محيث الحيث ومكيف الكيف ومؤين الأين[*] الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض - إلى آخر الآية - وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته واختصنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في علي بن أبي طالب عليه السلام فليقم وليتحدث قال: فقام الناس فسردوا تلك المناقب))[٦٧] من الملفت للنظر من خلال قرائتنا لنصّ المناضرة نرى أنّ الإمام الباقر قام العلمية نفسها عندما جمع هؤلاء المهاجرين والأنصار من التابعين وتابعي التابعين التي قام بها الإمام علي عليه السلام عندما أجمع الصحابة في خلافته واستشهدهم على نصوص الإمامة[٦٨]،وهذا يعكس الدور المشترك الذي مارسه الأئمة الأطهار جميعاً في مسيرتهم الكريمة، فسرد تلك المناقب للمتلقي من السامع وصاحب المخاصمة أراد بها الحفاظ على تواتر النصوص ولتصبح في مستوى الوضوح والإشهار؛ لتتحدّى كل مؤمرات الإخفاء وضياع النصوص من النسق المتحامل لآل البيت عليهم السلام لا سيّما أن الخفائر الجاهلية التي اصطدم بها أمير المؤمنين عند مقابلة الإنحراف وتعديل التجربة وإعادتها إلى مسارها المفترض والطبيعي عاشها أمامنا الباقر عليه السلام، فالتنصيص في الرسالة الكلامية يُتوخّى لإكتساب الخطاب - الهدف- مشروعية القول ما دام يستند إلى سلطة معرفية متعالية سواء تعلّقت بالأقوال المأثورة أو بالأحاديث أو بالقرآن فتكون تلك الأقوال شواهد تؤيد ما يقول ويستدّل بها على صحة ما يعبّر عنه وتكمن

حجاجيتها في أنها نوع من الإحالة النصيّة، إضافة إلى أنها تعمل على تنشيط الخطاب واكتسابه ديناميكية[٦٩] ولعلّ محل انتهاء المناظرة بين طرف الإمام والازرق بحديث الراية فكان ذلك بمثابة لمقدمات استدلالية ليستنتج خصوصية ذلك الأثر عن الرسول الكريم من حديث الراية، إذ لم يكن هدفه صلى الله عليه وآله الأول هو قيادة المعركة بل أشار إلى أمير المؤمنين هو من ينبغي أن يمسك زمام الأمور والخلافة؛ لذا أراد الرسول تهيئة الأمة بهذا الحدث إلى الحدث الأهم وهو تنصيب الإمام خليفة. .

وقوله في مناظرته مع نصراني الشام ((من الأمة المرحومة))[٧٠]. فكلّ هذه الخطابات الدعائية والثناء والإشادة من قبل الخصم بنصر الإمام عليه السلام أمامه وتفوّقه عليه سواء كانت بصفة الإفراد أو خطاب المجموع من خلال واحدهم تعد إرهاصات لإشتراك المتلقي من الحاضر والسامع لإنشاء معرفة عملية وعلمية حول قضية كانت محلاً لجدال فكري عميق أثارت استقطاب الناس حولهم - أهل البيت عليهم السلام - لذلك كان للأحتجاج عند أهل البيت والمناظرات دور أساسي للدخول فيها؛ هو أنّ يقولوا للناس إنّ هذا الطرف - أيّ الخصم صاحب التناقض- ليس هو العالم الذي ينبغي أنْ يُرجع إليه في الأمور وإنّما أنا المنتصر، وإن الهدى الذي كان موجوداً عند أهل البيت عليهم السلام لا يوجد بتمامه وكماله وشموله لدى غيرهم، ولذلك أنْ يجب يرجع غيرهم إليهم.

الفعالية الجدلية في الحجاج:

وفضلاً عن العلائقية التواصلية في التخاطب، ولّما كان حدّ الحجاج تدواليّ في الفعالية الجدلية؛ نظراً بغالبية الطابع الفكري - مقامي، واجتماعي- يتخذ طابعه الخاص انطلاقاً من محددات أحياناً تكون سياقية يدعم بها قولية مناسبة الخطاب من معارف، ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية،وأحياناً أُخر جدليّة، بهدف إقناعيّ ويكون مرمى بلوغها قائماً على إلتزام الآليات الحجاجية - صور استدلاليّة - التي تساعد على تشكيل هذه الخطابات وتكوثرها[٧١]، وهذا ما نراه في حوار الراهب المسيحي[*] مع الإمام عليه السلام التي تحمل ذلك المأزق الثقافي، تُعتبر بمثابة التهديد الذي يوجّه للأمة الإسلامية تحت عنوان المجادلة والمناظرة، والمقابلة، والمسألة، والمفاضلة... إلخ، كما سنلفي في بدء ماهية الحوار أنّ الإمام الباقر عليه السلام يمهّد لتلك المخاصمة لذلك أنّه في مشارف بدء المقابلة قال النصراني ((أسألك أو تسألني؟

قال أبو جعفر عليه السلام فذلك إليك)) فقوله (فذلك إليك) يشير بجلاء إلى أنّ هناك جدلاً واستدلالاً، ومحاولة إقناع الخصم بأنّ الإمام عالم الأمة ومرجعها الذي ينبغي أنْ تصير إليه الأمور من خلال عدّة أساليب وروابط حجاجية، فما كان جواب الراهب إلا أن قال: ((يا معشر النصارى رجل من امة محمد يقول: سلني! إن هذا لعالم بالمسائل((٧٢). فمن خلال تتبع المسار الجدلي الذي دار بين الأمام عليه السلام والراهب،نجد إيجاد الأجوبة التي تأسست على مجموعة من التقنيات التي تحمل في مساراتها مقصدية حجاجية استندت إلى الاستدلال العقلي والبرهانية؛ كون قيام الاستدلال بوظيفة إثبات كذب قضية ما أو ما يسمّى بالتفنيد(٧٣)، وإتمام ذلك بتكريس للشواهد اللغوية التي استعرضعتها أقوال الراهب (هلا زعمت أنّك ليست من علمائها).

تشكيل الخطابات وتكوثرها يستند إلى الأفعال الرئيسة فيه وهي: الادعاء، والاعتراض التي تكون أوسع وأغنى من البنيات الهرمية الضيقة(٧٤).

أولاً:- الادعاء

هو فعل تكلمي، حيث يمثّل ((شرط من شروط المناظرة، بل هو قوامها والمبدأ الأساسي فيها حيث لا يمكن للمدعي أن يدخل في مناظرة دون أن يكون له موضوع يجادل فيه، ويحاول إقناع الآخرين به،حيث يكون هذا الموضوع بمثابة دعوى يصدقها ويحاول بكل الطرق الاستدلالية إقناع خصمه التصديق بها أو الاعتراض على صدقها))(٧٥).

ومن بين أهم ملامح الخطاب تضمينه تلك العلاقات الحجاجية التي تبنى وفق أنساق منطقية؛ لذا وجب النزوع إلى الاستدلال كنسق منطقي تداولي في بنيّة الخطاب - الحجاجي - فـ((إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب أيّ متواليات من الأقوال والجمل بعضها، بمثابة الحجج، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها))(٧٦).

حيث كانت الآليات الحجاجية محلٌ اشتغالٌ لإنتاج المعارف عند كثير من العلماء، ومن ضمنها آلية (الاستدلال) فقد كانت أغلب نصوصهم وخطاباتهم مبنية بناء استدلالياً تعتمد في ذلك على أدوات وقواعد وضوابط عقلية، واخرى نقلية من أجل إقامة الحجة لإثبات قضاياهم ودعواهم، وهذا وظفته جلّ العلوم لاسيّما أصول الفقه وعلم الكلام والنحو والبلاغة في بناء نصيّتها(٧٧).

ومن الجدير بالذكر فقد يكون لتقنية الإدعاء أساليب منتوعة في ابتداءاتها في الإجابة عن سؤال الخصم فمنها ما يبندى بأدوات شرط واستفهام وبعضها يتجاوز الحد في التعصب والتحامل، كقول عبد الله بن نافع الأزرقي ((لو أني علمت بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه...)) فالإدعاء الذي يراه أهل الخوارج بأن عليا عليه السلام كان آثماً ومذنباً عندما قاتل أهل النهروان،يسلتزم نتيجة خاضعة لمنطق مبادئهم- أهل التحكيم - قد كفروا الإمام عليعليه السلام بل يرون أنّ إقامة الأمامة ليس فرضاً في الشرع أو ركن بل هي من الأمور الجائزة وإنّ وجبت فإنما تجب بحكم الحاجة والمصلحة[٧٨] مع أنّ مذهب أغلب المنظومة الإسلامية في قيام الإمام لم يكن فرضاً أساسياً من فروض الدين فحسب بل هو الذي تتوقف عليه سائر الفروض[٧٩].

وما أخذ يدّعيه (النصراني) من فضل أهل الكتاب على الأمة المرحومة - الإسلام- من خلال أسئلة يطرحها على المسلمين ويدّعي لا يستطيع أحد من المسلمين الإجابة عليها، وهو إدعاء معنى ضمني يمكن استنتاجه من جلي المعاني المطروحة في النص كقوله: ((يا معشر النصارى والله لأسألنه مسألة يرتطم فيها...))[٨٠] إن حضور صورة النسق المضاد هنا يبدو أمام الوجه الثقافي مفعم بالتهديد الثقافي للأمة - المرحومة - الإسلامية فأصل إدعاء النصراني نابع من قوة المنطق الواهي من حيث علاقتهم بالله ومن حيث العلم و المنطق والاستدلال على الأقوام الأخرى لاسيما المسلمين، إذ يعدّون أنفسهم الطبقة الثقافية المميزة المعتبرة، وكان منطلق إدعائهم من قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[٨١] كونهم أهل الكتاب، والمسلمين جماعة أميّة[٨٢]، وأنهم فيما يرتبط بالأديان والعقائد وتاريخ الكون أكثر ثقافة من المسلمين لذلك راح هذا الراهب يزخ بأسئلة غيبية وهو يعلم لا يقدر أحد الإجابة عليها إلا نبي أو وصي ((أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون)) فهو يدفع بحجاجاه نحو إفحام المناظر ومحاولة إعجازه عن الإجابة ظناً منه غير قادر من الجواب عليها، وكان تضمين تلك المحاورة التي دارت ما بين الإمام ودعوى النصراني بلجوئه إلى الأمور الميتافيزيقية تلعب دوراً أساساً في الحجاج كنشاط تواصلي التي تكون بمثابة حجج على قوة دعواه امتلاك ثقافة دينية وتاريخية وربما حتى الغيبية منها تعود للدين الإسلامي، والتي لا يستطيع المسلمين أنفسهم الجواب عليها ((أخبرني عن رجل دنا من أمرته فحملت بابنين جميعا حملتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة و دفنا في

ساعة واحدة في قبر واحد فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة وعاش الآخر خمسين سنة من هما...))[٨٣].

فالمدعي (نصراني الشام) في هذه الحالة يؤدي وظفتين في دعواه: المعنى جلي: ((يا معشر النصارى والله لأسألنه عن مسألة يرتطم فيها)) - هو عالم بكل الأمور- فضلاً عن منحه الصدق لأ قوال لإجابة من طرف الإمام الباقر عليه السلام سواؤء لمطابقة الإجابة لاعتقادته - هو- أو من حيث مطابقتها للواقع؛ بوصفه هو عالم بها بقوله: ((ألم تقل: ما أنا من علمائهم؟)).

وإدعاء مضمر: يمكن استنتاجه من المعنى الجلي: هو ثقافة النصارى بدينهم، وعلمهم بثقافة الدين الإسلامي أكثر ثقافة من المسلمين بدينهم؛ لذا أراد الإقحام ليثبت عدم علمهم، لكنه فشل.

الاعتراض:

هو فعل تكلّمي استجابي إدباري استشاري تقويمي تشكيكي سجالي، ولما كان الاعتراض هو المنع بهذه الصفات المجتمعة يكون المنع مرتبطاً بموضوع الإدعاء[٨٤]. ولهذا فهو((إبطال الدعوة بإقامة الدليل على نقضها أو على دعوة تساوي نقيضها أو تقتضي إبطال مقدمة من مقدمات دليل هذه الدعوة))[٨٥].

يبدأ اعتراض الإمام بتوظيف استراتيجية استلزام (الاستدلال العقلي) فقد سلك سبلاً استدلالية مزج فيها الآليات المنطقية للاستدلال والآليات الاستدلالية الإسلامية التي تمثلت في مسائل كلامية تتطلب تلك القوانين المنطقية في عرض الدليل، وكان على وعيّ أنه أمام مخاطب يحمل آيديولوجية ما، تفرض عليه أسلوباً مرناً في الاستدلال بدليل قول نافع للإمام الباقر عند عرض أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله والمناقب الواردة بخلافة الإمام علي عليه السلام وكان جواب نافع له ((أنا أروي لهذه المناقب من هؤلاء...))، فما كان من الإمام إلا أنْ يقول للأزرقي ((اخبرني عن الله عزّ وجل أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم فأنّ قلت لا كفرت، فقال قد علم، قال أحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على معصيته فقال على أن يعمل بطاعته...)) يطرح النص أول مسألة كلامية التي استشكلتها فرقة الخوارج، وهي (مسألة حُكْم مُرْتكب الكبائر) وما تفرع عنها من مسائل، من منطلق مبدئهم ((أن يبعث الله تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً

قبل البعثة... وجوّزوا الكبائر والصغائر على الأنبياء))[٨٦]، ويمكن الحصول على صيغ عديدة من خلال استعمال روابط حجاجية مختلفة نحو: ((اخبرني عن الله عزّ وجل أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم)) الحجة هنا استلزمت نتيجة مفادها أن الله تعالى أحاط بكل شيء علما، وأن علمه بالاشياء قبل تكوينها وبعد تكوينها على حد سواء؛لأنه الخالق والمكون لها كما أنه العالم بما تنطوي عليه النفوس، وتضمره القلوب[٨٧]، وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ((كان الله عز وجل ولا شيء غيره، ولم يزل عالما بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه))[٨٨].

- اخبرني عن الله عزّ وجل أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم فإنّ قلت لا كفرت (شرط واستلزام).

- قال أحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على معصيته فقال على أن يعمل بطاعته (تفسير).

- الله أحب علياً على طاعته، إذن علي يعمل بطاعته بقتاله أهل التحكيم (استنتاج).

أما فيما يخص الحجة الاعتراضية للإمام في إدعاء النصرني وطرح أسئلته، نجد صاحب الإدعاء يثبت علم الإمام انتصاره من خلال المصادقة على قول الإمام وأجوبته ((يا معشر النصارى: ما رأيت بعيني قط أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردوني، قال: فردوه إلى كهف))[٨٩]؛ بوصف بنية القول الاعتراضي تمتد إلى ما هو خارج قدرات المناظر - النصراني - الإدعائية،يتمثّل ذلك في الاستشهاد ببنيات الواقع الميتافيزيقي تستمد إجابته من الواقع المادي المحسوس، فضلاً عن ذلك أصل بنية الاعتراض يتطلّب جواباً يحتاج إلى استدلال وروية عن هذه الاستفهامات يقع به الجواب في موضعه، فمن الاستفهامات التي أُفتتحت بها أحدى الحجج (مسألة أكل أهل جنة، وأنهم لا يتغوطون) ما كان وضعها ذا أصل يحتاج إلى حجة يقع بها الجواب في موضعه، وتدخل هذه التقنية ضمن كفاءة المعترض - الإمامعليه السلام - والتي من ضمنها الآليات الاستدلالية، لاسيما منها (الجواب النقضي، والحل النقضي) الذي يُعد في حقيقته ليس حلاً للإشكال وإنما هو توسعة للإشكال، يُراد منه إفحام الطرف الآخر وإسكاته[❖]، فمثلا عندما طلب النصراني من الإمام أن يمثله بشاهد من الحياة الدنيا كمثال لأهل الجنة، الإمام أعطاه جواباً من حيث

فهمه وعقيدته من باب المثل القياسي: كسرد وصفي أو قصصي، أو صورة بيانية لتوضيح فكرة معينة عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون (التمثيل المركّب أو التشبيه المتعدد)، ويكون هذا النوع من أجل تشبيه شيء بشيء آخر؛ لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوس من الآخر، من أجل التوضيح أو التصوير [٩٠] فكان الجواب النقضي هنا إن الإمام ذكر له حادثة (الجنين في بطن أمه) كحادثة مشابهة يسلّم بها الخصم،وكذلك الحال بالنسبة لسؤال النصراني ((أخبرني عن ساعة ما هي من الليل ولا من النهار أي ساعة فقال أبو جعفر عليه السلام: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فقال النصراني: فإذا لم تكن من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: من ساعات الجنة وفيها تفيق مرضانا))[٩١] حيث نجد أن الإمام عليه السلام جيء بالحجة من أقرب الطرق إلى النفس البشرية - أي التي يفهما عامة الناس-، فالإمام هنا لا يغفل هذا التوجه فيقوّي به استدلاله، من هنا كانت أجابته عليه السلام على وفق معتقد ذلك النصراني، وقوله عليه السلام: (من ساعات الجنة) ((أي شبيهة بها ولا يبعد أن يكون المراد أنها لا تحسب في انتصاف الليل ولا في انتصاف النهار))[٩٢]؛ ليزيد من بلوغ الغاية في فضل تلك الساعة، فيذكر ما فيها من سلامة للإنسان وراحته بقوله ((وفيها يفيق مرضانا))، حيث تعطي هذا السياق المُعين على بلوغ مقاصده، وهو ما يعرف في متداول التراث البلاغي بمطابقة الكلام مقتضى الحال، وصولاً إلى الاقتناع بحقيقة ليساق المخاطب إلى أن لأئمة أهل البيت عليهم السلام ((اذا كانت الكرامة تقع لغيرهم، فما ظنك بهم علما ودينا، وآثارا من النبوة، وعناية بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة، والشريعة قد قررت ان البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية... فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة))[٩٣].

الخاتمة:

بعد التعامل مع نسق الانحراف في الاختيار الزمني لعصر الامام الباقر عليه السلام على أساس من أن لها بعدين ثقافيين: بعداً آيديولوجيا يهيمن عليه التواطؤ المعرفي الاجتماعي فيلقى استجابة تواصلية بما تعارفت عليه الجماعة المنحرفة، وهذه الاستجابة تكاد لا تفارق نسقها المضاد للمسار الالهي؛ فهي محكومة بمرجعيات سلطوية الضغائن الجاهلية على مستوى الديني، ومن ثم تكون على نحو متماثل - إلى حد كبير - عند أفراد كل عصر من عصور أئمة أهل البيت، فبفعل التوسل بالدراسة التداولية كمنهج نلحظ أن أسلوب الحجاج سيما

المناظرات تمثّل نموذجاً حياً لقدرة النص الحواري الحجاجي على إضمار الأنساق الثقافية ذات الأبعاد الفكرية الآيديولوجية المرتبطة بثقافة الفرق في المذاهب وجدليات صراعها، ومن ثم تصوغ عوالم وجودية متنامية ومتنوعة الظلال تعكس في دلالاتها حقيقة التهديد الثقافي للمنظومة الإسلامية التي رسمه الخط النبوي للمسلمين ليقف أئمة الهدى مقابل هذا الطرف المعارض عن طريق المناظرة، كسلوك يجدون فيه فرصة في بيان دورهم في الرسالة السماوية بوصفهم أشخاصاً بلغوا في مستواهم العقائديدرجة العصمة من الإنحراف والزلل والخطأ.

وآخر قولنا لعلّ ما توصلنا إليه من هذه الدراسة وكما قال الشافعي:

((وغاب عني بعض كتبي وتحققت بما يعرفه أهل العلم مما حفظت واختصرت خوف طول الكتاب فأتيت ببعض ما فيه الكفاية))[٩٤]. وأختم كلامي بما بدأت فه من الحمد للذي يستحقه حمداً كثيراً، فالحمد لله أولاً وأخيراً.

Abstract

The deviation wasn't a certain era ،or a visible phenomenon in a society ،but it exists as long as there is human enabled instincts bear it ،and evidence by ،these instincts are appeared sometimes and disappeare at other times in accordance with the existence of the true mind ،which was found by the existence of these instincts that have deposited with human in eternal existence ،the Almighty said:((And its enlightenment as to its wrong and its right)) [surat Al-shams: 8]،this reference to the two existences wrestlers from the existence until the courtyard ،perhaps the most deadly in societies is the intellectual deviation ،because its owner loses the right way not because he bad or intended to be bad،but he believes that he does right ،good means evil work ،the person who wants to treat such diseases is very difficult for him to heal it،so the death of thought is the death of human before its time ،and this what was the society plagued by in the era of Imam Al-Baqir (P.B.U.H) and plagued by major deviation in thought and knowledge،the Mulahidih ،Zanadiqih ، Marjiih،Al-maetilih and others was spreaded in Al-Baqir's era،he

didn't hesitate،but he faced them with all his determination and wisdom ،he argued them with evidences and gave them the greates proof in those arguments which was a measure of art in the performance and he was very skillful in implementation it ،the researcher should shed light on these arguments to highlight the cognitive effort for its intellectual value ،so this point was my reaserch orbit which its title (Patterns of intellectual deviation in Imam Al-Baqir's era -a deliberative study) I hope I will succeded in clarifying these pages that are bright from that era،the political detent was common and overshadowed by intellectual deviation in all its aspects and mechanisms.

هوامش البحث

(١) القواعد المنطقيّة، سمير خليل الدّين: ٢١.

(٢) ينظر: مفهوم الذات – أسسه النظرية والتطبيقية، والاس لابين، تر: فوزي بهلول، ١٨.

(٣) العرفان، مرتضى مطهري: ٢٣.

(٤) مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. عامر الكفيشي، ١٠.

(٥) معجم العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي:٤/٢١٨، وينظر المعجم الوسيط: ٧٨٩..

(❖) ويمكن تعريف الأنساق بأنّها ((مجموعة من الأدوات الرمزية التي تتحكم في سلوك أفرادها)) إنّ ما يمكن ملاحظته من تعريف (النسق) ومن خلال آراء النقاد الانثربولوجين أنّ مصطلح (النسق الثقافي) يتحدد أو يقترب من مفهوم الايديولوجيا،بوصفها نسقاً ثقافياً من الدرجة الثانية فهي تتأسس على نسق ثقافي سابق كالدين مثلاً، وأما مصطلح النسق في ميدان الانثربولوجين أمثال (ليفي شتراوس، لوتمان،إيكو)) فعنوا به كلّ ما هو محدد ثقافياً ويتميز بوصفه وحدة مستقلة قد يكون شخصاً، أو مكاناً، أو شيئاً، أو شعوراً،أو خيالاً، أوفكرة، أو حاله. فهو ينظر اليها بوصفها وحدة دلالية مُدمجة في نظام، وقد تتجاوز هذا النظام إلى التفاعل بين ثقافتين. ينظر:معجم المصطلحات الادبية، سعيد علوش:٢٢٦.

(٦) السرد العربي القديم – الانساق الثقافية وإشكالية التأويل:٢٢.

(٧) ينظر: معجم العين: ٣٠٥/١.

(٨) المصدر نفسه: ٣٠٥/١ -٣٠٦، وينظر أيضا: لسان العرب، مادة حرف.

(٩) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس:٤٢/٢ .

(١٠) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها، وينظر: لسان العرب،مادة (حرف) .
(١١) سورة الحج: ١١.
(١٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي: ٣ /٣٢٦.
(١٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٢/٢.
(١٤) سورة البقرة: ٥٧.
(١٥) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي: ٣ /٥٩٠.
(١٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٧٩٩.
(١٧) ينظر: معجم مقايس اللغة: ٤٣/٢.
(١٨) ينظر: لسان العرب، مادة حرف.
(١٩) سيكولوجيا الانحراف، د. سليم نعام: ٢١.
(٢٠) سورة البقرة: ٣٠.
(٢١) سورة الأعراف: ٢٠.
(٢٢) سورة النساء: ١١٩.
(٢٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٦٤/٨.
(٢٤) سورة الزخرف: ٢٣.
(٢٥) سورة الأعراف: الآيتان: ٨٠-٨١.
(٢٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٤٤/٥.
(٢٧) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩٤/٧.
(٢٨) سورة فاطر: ٤٢ ، وينظر: أيضا قوله تعالى: ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ﴾ سورة الانعام: ١٠٩.
(٢٩) الانحرافات الكبرى، سعيد أيوب: ١٠٥٩.
(٣٠) حركة النبوة في مواجهة الإنحراف، السيد محمد حسين فضل الله: ٣١.
(٣١) الانحرفات الكبرى: ١٤٤٥.
(٣٢) السيف والسياسة، صالح الورداني: ١٢٥.
(٣٣) الملل والنحل، الشهرستاني: ٥.
(٣٤) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة الهدف: ١٣٥.
٣٥)) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح احمد يوسف: ١٤١.
(٣٦) ينظر: الإمامة والسياسية، ابن قتيبة: ١/ ٢٥.
(٣٧) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة الهدف: ١٤١.
(٣٨) ينظر المصدر نفسه: ١٤١-١٤٨.
(٣٩) تنوع الأدوار ووحدة الهدف، محمد باقر الصدر: ٤٤٩.

(٤٠) ينظر: أعلام الهداية، المجمع العالمي: ٧ /٩٨.

(٤١) ينظر: حياة الإمام الباقر – دراسة تحليلية، باقر شريف القرشي: ١ /٣٥١.

(٤٢) ينظر: موسوعة الأنوار في سيرة الأئمة الأطهار، أحمد بن عبد العزيز الموسوي: ٣٣٦/٧.

(٤٣) قد روى فيه أحاديث عن الرسول في انحرافه وسوءه، وقد روى عن عمر بن أبي إسحاق قال: كان مروا أميراً علينا ست سنين فكان يسبّ عليا رضي الله عنه كلّ جمعة على المنابر.

وروي عنه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: (سلتقى الامة منه ومن ولده يوماً أحمر). للمزيد ينظر الآتي: شرح نهج البلاغة، أبي الحديد: ١٤٦، وينظر: مجمع الفوائد، الهيثمي، باب أئمة الظلم والجور: ٢٢١/٥.

(٤٤) للمزيد من أخبارهم وسيرهم المظلمة ينظر: تاريخ الطبري: ٣١٩/٥، وأيضاً العقد الفريد، للأندلسي: ٤٤٢/٤، وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١٣٨/٤، وينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٦٠/٩.

(٤٥) ينظر: أعلام الهداية: ١٠٦ -١١٠.

(المُرْجئة أو الإرجاء): من الإرجاء وهو التأخير وإعطاء المهلة صنف اعتقادي خطير تكلموا في الإيمان والعمل، حيث يرون تقديم الإيمان على العمل في الأهمية عن النيّة والاعتقاد، كما أنّهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبير وتخليده في النار، وقيل الإرجاء: تأخير علي(رض) عن الدرجة الأولى إلى الرابعة. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ٣٢٨/١، وينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، أبو الحسن الأشعري: ١٩٧.

(الجبرية أو الجبر): الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، حيث يصرحون جهراً بأنّ الإنسان مجبورٌ في أفعاله كلّها ولا قدرة له على شيء منها، وأول فرقة صرحت بهذا الجبر الخالص هي " الجهمية" أتباع الجهم بن صفوان، ومن فرقهم (الضرارية، والبكرية، والبطيخية، والصباحية، والفكرية، والخوفية) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ١ /٢١٣.

(الكيسانية) فرقة من فرق الشيعة، قيل: كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل تلميذ محمد بن الحنفية (رض) وعدّت هذه الفرقة من الفرق المنحرفة حيث كانت تحمل شعار الانتساب الى أهل البيت عليهم السلام لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا يستهدفون الواقع السياسي المنحرف.ينظر: مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام، عبد الواحد الأنصاري: ٣٨، و فرق الشيعة، النوبختي: ٣٣، و مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ٨٩.

(٤٦) كذلك من عوامل التشتت الفكري: الاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري بين المسلمين وغيرهم من الهنود والفرس، فسح المجال للأحبار والرهبان للتحدث عن قصص الأولين والأخرين. ينظر: الملل والنحل، جعفر السبحاني: ١/ ٣٠٩ انشغال الحكام والأحداث السياسية وإهمالهم الشؤون الدينية وهذا مع حدث مع والي البصرة عند ما خطب على المنبر عن إخراج الصدقات ولا يعرف كيف تخرف الصدقات...

كذلك التحول الذي طرأ من منع تدوين الحديث دخول الأحبار إلى ساحة القص لاسيما كعب الأحبار الذي أسلم على يد عمر بن الخطاب وكان من المقربين إليه وبدخوله قصد تشويه القصص الدينية بعد وضعها في أطر الخرافات. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٧ /٤٤٥.

(٤٧) تذكر الحفاظ، الذهبي: ٢/١ - ٣ .

(٤٨) المصدر نفسه: ٧/١، ولم يكن هذا فحسب، فالاجتهاد بالرأي في التفسير مقابل النص وهذا أيضاً ينسب إلى عمر بن الخطاب بل ذهب إلى مدى أبعد من ذلك،إذ كان يعمد إلى استعمال الرأي ؛ ليبحث عن وجهة العدالة أو المصلحة حتى رغم وجود نص من الكتاب أو السنة، من هنا كان لا يفسر النص طبقاً لحرفيته وإنما وفقاً لحكمته. ينظر: أزمة الفكر السياسي الإسلامي، د. عبد الحميد متولي: ١٢١.

(٤٩) سورة الحشر: ٧.

(٥٠) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف: ٣٠١، وأيضاً: تفسير المنار، رشيد رضا: ٤ /٢١٠.

(٥١) ينظر: ميثولوجيا أديان الشرق الأدنى قبل الإسلام، محمد الناصر صدّيقي: ١٦.

(٥٢) ينظر: أديان العالم، حبيب سعيد: ٩.

(٥٣) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٥٤) ينظر: حياة الإمام الباقر - دراسة تحليلية: ١ /٥٢٠.

(٥٥) ينظر: المصدر نفسه: ١ /٥٨٤.

(٥٦) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي: ٥٤٨.

(٥٧) محمد بن مسلم: محدثاً جليل القدر، عظيم الشأن، كبير المنزلة كثير الروايات، ثقة عين معتمد، ورد ذكره في كتب رجال الحديث مكرماً معظماً، ممدوحاً، أثنوا عليه الفقهاء والمحدثون، واعتمدوا على رواياته، وعملوا بأخباره وآثاره، وقد روي عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، وقال محمد بن مسلم:(سألته ثلاثين ألف حديث) ينظر: مناقب آل طالب، تبن شهر آشوب: ١٢٢٩/٣.

أبان بن تغلب: محدث عظيم المنزلة من كبار أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ينظر: مسند الإمام الباقر عليه السلام، عزيز الله عطاردي: ٦/ ٨٧٨، ورجال الكشي: ٢٣٥. وروي بسند عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال: ((أبان بن تغلب روي عني ثلاثين الف حديث)) ينظر: أعيان الشيعة: ١/ ٦٦١.

زرارة بن أعين الشيباني: اسمه عبد ربه، وزرارة لقب به، وكان أعن بن سنسن عبداً رومياً لرجل من بني شيبان. محدث جليل القدر، عظيم الشأن كثير الرواية من كبير مشايخ الرواة وثقات أهل الحديث، أدرك أبا جعفر الصادق الرضا عليهما السلام، كان مكرما موثوقاً به. ينظر: مسند الإمام الباقر عليه السلام ٦ /١١٧٤، وينظر: الفرست، ابن النديم: ٧٧٦.

(٥٨) عبد الله بن نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، المكنى بأبي راشد، مؤسس فرقة الأزارقة إحدى فرق الخوارج، ويذكر الإمام البغدادي أنّه لم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة، وكما تبين أن الخوارج انقسمت إلى حوالي عشرين فرقة وأن الخلاف بين هذه الفرق

كان يدور حول أمور فرعية تؤدي إلى الانشقاق بينهم، وكانت فرقة الأزارقة يقودها "نافع" ويُعدُّ نافع بن الأزرق كما قال الأشعري أول من أحدث الخلاف بين جماعة الخوارج، و((الذي أحدثه البراء من القعدة، والمحنة لمن قصد عسكره، وإكفار من لم يهاجر إليه...)). ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١/١٧٣، وينظر: تاريخ الطبري: ٧ /٦٥. ويُعدُّ افتراف ابن الأزرق أول أنقسام، وكان ذلك سنة ٦٤ هـ حين فاصلوا ابن الزبير، فافترقوا إلى أربع فرق (الأزارق، والصفرية، والنجدات، والأباضية) وقد انقرضت الفرق الأولى الثلاث، وأما الأباضية فهي الباقية إلى اليوم... ينظر: الخوارج - أول فرق في الإسلام، د. ناصر عبد الكريم العقل: ٣٢.

وقد قاد نافع جماعة الأزارقة من البصرة إلى الأهواز وسيطروا عليها وعلى ما وراءها من بلاد فارس، فقام هو وأصحابه بسفك الدماء وقتل الأطفال حتى روعوا سكان هذه الأماكن وامتد نفوذهم إلى البصرة، ودخل معهم عمال عبد الله بن الزبير على تلك الجهات في عدة معارك لم يستطيعوا خلالها هزيمتهم ولكن في معركة " دولاب " قتل نافع بن الأزرق، فعقد الأزارقة بعده الأمر لِقَطَرِيّ بن الفُجاءة. وقد تابعت جيوش الأمويين ملاحقة الأزارقة حتى ضعف أمرهم بعد ما اشتهروا بالعنف والقسوة والبطش والبأس والقتل والنهب والسلب، وأكدوا كلّ هذه الصفات في مبادئهم وتعاليمهم التي تبنوها وحاولوا بكل عنف تطبيقها.ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١/١٧٠، والفرق بين الفرق: ٧٨، ودراسة عن الفرق:٥٥.

وأهم مبادئهم:

كفروا الإمام علي ﷺ، وقالوا إن الله أنزل في شأنه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤]، كما صوبوا ابن ملجم قاتل علي وقالوا: إن الله أنزل في شأنه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧]،وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس. ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل: ١/١٢٧- ١٢٩. قال ابن حزم: ((وقد بادت الازارقة انما كانوا اهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق وآخرهم عبدة بن هلال العسكري واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة)) الفصل في الملل والاهواء والنحل: ١٢٩.

(٥٩) ينظر: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة تداولية، راضية خفيف بوبكري، مجلة الموقف، ع ٣٩٩: ٣٦..

(٦٠) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٩.

(٦١) المناظرة:هي محاورة فكرية بين طرفين متخاصمين، تعالج موضوعاً محدداً يقوم أحد الطرفين بطرح الإشكالية ؛ ليسعى الخصم لإبطالها، ويكون ذلك بالحجة والبرهان... ينظر: الفكر العربي الإسلامي (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم، مختار الفجاري: ٤٦.

(٦٢) الكافي، الكليني: ٨/١٢٠

(٦٣) المصدر نفسه: ٨/١٢٠

(❖) من أعاظم مدرسة الخلفاء، وأستاذ مالك بن أنس إمام المذهب المالكي، وهو روايته عند البخاري تعد "من أصح الأسانيد وأوثق الأسانيد ما رواه مالك عن نافع عن عمر عن رسول الله ﷺ، وقيل: هو((نافع بن سرجس مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب كان ذميًا وهو من التابعين المدنيينالعامة رووا عنه أخباراً كثيرة ومعظم رواياته عن ابن عمر وهو من الثقات عندهم وكان ناصبياً خبيثاً معانداً لأهل البيت عليهم السلام، ويظهر في المرويات عن الت ريخ أنه كان يميل إلى رأي الخوارج)) ينظر: الكافي: ١٢٠/٨.

(٦٤) ينظر: الكافي: ١٢٠/٨.

(❖) الابرش الكلبي: سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش أبو مجاشع، إنّه كان في عصر هشام ابن عبد الملك وبقي إلى عصر المنصور، كان أحد الفصحاء من أصحاب هشام ابن عبد الملك، حيث يكتب له، وكان غالباً عليه، فلما افضت لهشام الخلافة سجد وسجد كل من كان عنده من جلسائه ماعدا الابرش فقال له هشام ما منعك ان تسجد يا أبرش ؟ فقال ولم اسجد وانت اليوم معي ماشياً وغداً فوقي طائراً. قال: فإن طرت بك معي ؟ قال: اتراك فاعلاً قال نعم. قال: فالان طاب السجود.ينظر: الوافي بالوفيات، بن أبيك الصفدي: ١٥ /١٦٩.

(٦٥) ينظر: بحار الأنوار: كتاب تاريخ الإمام الباقر، باب ٩: ١٩٥/١١

(٦٦) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٥.

(❖) الأين بمعنى الزمان.

(٦٧) الكافي: ٨/ ٣٥٠.

(٦٨) ينظر: أهل البيت – تنوع أدوار ووحدة الهدف: ١٤١ –١٤٢.

(٦٩) ينظر: إجتيار الحدود في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي، د. محمد الناصر العجيمي: ٤١ –٤٢.

(٧٠) الكافي: ١٢٠/٨ –١٢٢.

(٧١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٥.

(❖) قيل هو من تلامذة تلامذة الحواريين، حيث كانت له صومعة على جبل يخرج منها أياماَ في السنة ويجتمع حوله عامة الناس من النصارى، وقد ألتحق به عدد من عامة المسلمين، وكان يوجه لهم أسئلة قد لا يجدون له جواباً... ينظر: الاحتجاج، الطوسي:٢/ ١٨٩.

(٧٢) بحار الأنوار – كتاب الاحتجاج باب ١٢: ١٠/ ٢٤٣.

(٧٣) ينظر: الاستدلال، روبير بلانشي، تر: محمود اليعقوبي: ٦٤.

(٧٤) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٥.

(٧٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧٥ –٧٦.

(٧٦) ينظر: الاستدلال، روبير بلانشي، تر: محمود اليعقوبي: ٦١.

(٧٧) سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي، مجلة المناهل، ع: ٦٢: ١٤٢.

(٧٨) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ١٢٤/١.

(٧٩) ينظر: المواقف وشرحها، الجرجاني: ٦٦.
(٨٠) الكافي: ٨ /١٢٤.
(٨١) سورة آل عمران: ٧٥.
(٨٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب المنزل: ٢ /٣٣٤ -٣٣٥.
(٨٣) الكافي: ٨ / ١٢ ٢-١٢٣.
(٨٤) ينظر: في أصول الحوار وتجديد الكلام: ٧٦.
(٨٥) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث: ٢٣.
(٨٦) الملل والنحل، الشهرستاني: ١٢٢/١.
(٨٧) ينظر: دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين: ١٧٨- ١٨٠.
(٨٨) أصول الكافي: ١٧٠/١.
(٨٩) الكافي: ١٢٢/٨-١٢٣.
(٩٠) ينظر: الأمثال والمثل والتمثّل والمثلان، في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين: ٣٦ .
(❖) مصطلح الحلّ النقضي والجواب النقضي: مصطلح كثيراً ما يتداول في الأوساط العلمية، وله تطبيقات كثير في كتب العلماء، لا سيما أنظر: الملل والنحل، جعفر السبحاني: ٦ /٦٢٧، وأيضاً العزاء في مرآة الاستدلال، محمد هادي الحجازي: ٣٠٩، وأيضاً ينظر: البيان المفيد في شرح الحلقة الثالثة من حلقة الأصول للسيد الشهيد، أياد المنصور، ٤/ ٣٨٦ -٣٨٧ .
(٩١) الكافي: ١٢٢/٨.
(٩٢) بحار الأنوار، المجلسي، ٨٠/ ١٠٧.
(٩٣) المقدمة، ابن خلدون: ٢٣٢ ـ ٢٣٤
(٩٤) الرسالة، الشافعي: ٤٣١.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إجتياز الحدود في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي: د. محمد الناصر العجيمي، مكتبة علاء الدين، تونس، ط١، ٢٠١٠.
- الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس)، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق - النجف ، ١٩٦٦.
- أديان العالم، سعيد حبيب، دار التأليف والنشر للكنسية الأسقفية، القاهرة، (ب.ت)، (ب.ط).

- أزمة الفكر السياسي الإسلامي - في العصر الحديث-، د. عبد الحميد متولي، تقديم: د. عبد الحليم محمود، الهيئة المصرية العام للكتاب، ط٣، مصر، ١٩٨٥.
- الاستدلال، روبير بلانشي، ترجمة: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر،(د.ط)،(ب.ت).
- أعلام الهداية - الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، المطبعة ليلى، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٧.
- الأمثال والمثل والتمثّل والمثلان، في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠٠٠.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، ط٢، ٢٠٠٩.
- الانحرافات الكبرى، سعيد أيوب، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٢.
- أهل البيت - تنوع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، إحياء الكتب الإسلامية ، ايران - قم.
- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت:٧٧٤ هـ)،تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، د.ت.
- البيان المفيد في شرح الحلقة الثالثة من حلقة الأصول للسيد الشهيد، أياد المنصور، الناشر: دار مدين، قم - ايران، ط١، ٢٠١٠.
- تاريخ الطبري، تاريخ الرُسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ، دار المعارف، ط٢ مصر، د.ت.
- تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، (ب.ت).
- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار المعارف العثمانية، بيروت - لبنان، ١٤٧٤ هـ.

- التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)،أبو عبد الله بن محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١.
- حركة النبوة في مواجهة الإنحراف، شفيق محمد الموسوي ،ط ٢، ١٩٩٧.
- حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام - دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٤١٣ه.
- الخوارج أول فرقة في الإسلام، د. ناصر عبد الكريم العقل، دار القاسم، ط٢، الرياض، ١٤١٧هـ.
- دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٥، ٢٠٠٦.
- رجال الكشي، لأبي عمرو بن محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، علّق وقدم عليه ووضع فهارسه: السيد أحمد الحسيني، منشورات الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩.
- الرسالة، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٠.
- السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، د.ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- السيف والسياسة في الإسلام (الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي)، صالح الورداني، دار الجسام، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
- سيكولوجيا الانحراف: دراسة نفسية اجتماعية، *نعامة سليم*، دمشق، ط١، ١٩٨٦.
- شرح المواقف، علي بن محمد القاضي الجرجاني (ت: ٨١٦ ه)، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ب.ط)، (ب.ت).
- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، شهاب الدين أحمد بن حجر المكي الهيتمي (ت: ٩٧٤ هـ)، راجعه وأشرف على تحقيقه: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، ط١،٢٠٠٨.
- الطبقات الكبير (طبقات ابن سعد) ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠ هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١، ٢٠٠١.

- العرفان: مرتضى مطهري، تر: عباس نور الدين، دار المحجّة البيضاء و دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ط٢، ٢٠٠٢.
- العزاء في مرآة الاستدلال، محمد هادي الحجازي، مؤسسة وارث للأنبياء، العتبة الحسينية، ط١، ٢٠١٦.
- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣.
- علم أصول الفقه، عبد الوهاب، خلاف، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط ٨، ١٩٤٢.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، أبي منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي (ت:٤٢٩هـ) ، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (ب.ط)، (ب.ت).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ)، مكتبة السلام العلمية، الناشر: محمد علي صبيح، ١٤٣٨ هـ، (ب.ط).
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠.
- القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي،ط ٨، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥.
- القواعد المنطقيّة: سمير خليل الدّين، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، ط١، بيروت، ٢٠٠٦.
- الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني (ت: ٣٢٩ هـ): تحقيق، صحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مطبعة الحيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط٤، ١٣٦٢ شمسي.
- الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧.
- لسان العرب، ابن منظور، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠١١.
- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، ط١، منشورات الإختلاف ـ بيروت،٢٠١٠.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،(ب. ط)، (ب. ت).
- مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام، عبد الواحد الانصاري، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٧٣.
- مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام، عبد الواحد الأنصاري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٧٣.
- مسند الإمام الباقر(أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام)، جمعه ورتبه: الشيخ عزيز الله العطاردي، (ب.ط)، (ب.ت).
- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ١٩٨٩، (ب.ط)، (ب.ت) .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،د. سعيد علوش،ط١، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ١٩٨٥.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.
- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
- مفهوم الذات - أسسه النظرية والتطبيقية، والاس لابين، ترجمة: فوزي بهلول، مراجعة السيد خير الله، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.
- مقالات الإسلامين واختلاف المصلين، تأليف: أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٣٠ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٠، (ب.ط).
- مقدمة ابن خلدون مقدمة ابن خلدون ،ولي الدين عبد الرحمن بن محمد(ت: ٨٠٨ هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش الناشر: دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤.
- مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد، الدكتور الشيخ عامر الكفيشي، دار الهادي للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٦.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد السيد الكيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (ب.ط)، (ب.ت).
- مناقب آل أبي طالب، تأليف: أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩١.

- موسوعة الأنوار في سيرة الأئمة الأطهار، تأليف: أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي، إشراف: محمد باقر الموسوي الفالي، دار العلوم للتحقيق والنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- ميثولوجيا أديان الشرق الأدنى قبل الإسلام، محمد الناصر صدّيقي،ط١، جداول للنشر والترجمة والتوزيع - بيروت، ٢٠١٤.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الضفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، دار إحياء التراث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (ب.ط)، (ب.ت).

الدوريات:

- التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة تداولية، راضية خفيف بوبكري، مجلة الموقف، ع ٣٩٩، تموز ٢٠٠٤.
- سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة المغربية، ع ٦٢ -٦٣، ٢٠٠١.